اصداء نهضة الحسين

ابو الشهداء الحسين بن علي

عباس محمود العقاد

ليس في نوع الانسان صفات علويات أنبل ولا ألزم له من الإيمان والفداء والإيثار ويقظة الضمير وتعظيم الحق ورعاية الواجب والجلد في المحنة والأنفة من الضيم والشجاعة في وجه الموت المحتوم.. وهي - ومثيلات لها من طرازها- هي التي تجلت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين، ولم تجتمع كلها ولا تجلت قط في موطن من المواطن تجليها في تلك الحوادث، وقد شاء القدر أن تكون في جانب منها أشرف ما يشرف به أبناء آدم، لأنها في الجانب الآخر منها أخزى ما يخزى به مخلوق من المخلوقات..

وحسبك من تقويم الأخلاق في تلك النفوس، أنه ما من أحد قتل في كربلاء إلا كان في وسعه أن يتجنب القتل بكلمة أو بخطوة، ولكنهم جميعا آثروا الموت عطاشاً جياعاً مناضلين على أن يقولوا تلك الكلمة أو يخطوا تلك الخطوة، لأنهم آثروا جمال الأخلاق على متاع الحياة..

أو حسبك من تقويم الأخلاق في نفس قائدها وقدوتها أنهم رأوه بينهم فافتدوه بأنفسهم، ولن يبتعث المرء روح الاستشهاد فيمن يلازمه إلا أن يكون هو أهلاً للاستشهاد في سبيله وسبيل دعوته، وأن يكون في سليقة الشهيد الذي يأتم به الشهداء.

نموت معك

أراد الحسين - وقد علم أن التسليم لا يكون - أن يبقى للموت وحده وألا يعرض له أحداً من صحبه. فجمعهم مرة بعد مرة وهو يقول لهم في كل مرة: "لقد بررتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيري. ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً.. فإذا جنكم الليل فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم".. فكأنما كان قد أراد لهم الهلاك ولم يرد النجاة، وفزعوا من رجائهم إياه كما يفزع غيرهم من مطالبتهم بالثبات والبقاء. وقالوا له كأنهم يتكلمون بلسان واحد: "معاذ الله والشهر الحرام.. ماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم؟ أنقول لهم إنا تركنا سيدنا وابن سيدنا وعمادنا، تركناه غرضاً للنبل ودريئة للرماح وجزراً للسباع، وفررنا عنه رغبة في الحياة؟ معاذ الله.. بل نحيا بحياتك ونموت معك..". قالوا له نموت معك ولك رأيك: ولم يخطر لأحد منهم أن يزين له العدول عن رأيه إيثاراً لنجاتهم ونجاته. ولو خادعوا أنفسهم قليلاً لزينوا له التسليم وسموه نصيحة مخلصين يريدون له الحياة، ولكنهم لم يخادعوا أنفسهم ولم يخادعوه، ورأوا أصدق النصيحة له أن يجنبوه التسليم ولا يجنبوه الموت، وهم جميعاً على ذلك. ولم يكونوا جميعاً من ذوي عمومته وقرباه، بل كان منهم غرباء نصحوا له ولأنفسهم هذه النصيحة التي ترهب العار ولا ترهب الموت. فقال له زهير بن القين: "والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة، ويدفع الله بذلك الفشل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك". وقال مسلم بن عوسجة كأنه يعتب لما اختار له من السلامة: "أنحن نخلي عنك؟ وبم نعتذر الى الله في أداء حقك؟ لا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة. والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك. وأما والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيي ثم أحرق ثم أحيي ثم أحرق ثم أذرى ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك...". وجئ الى رجل من أصحابه الغرباء ينبأ عن ابنه في فتنة الديلم، فعلم أن الديلم أسروه ولا يفكون إسارة بغير فداء، فأذن له الحسين أن ينصرف وهو في حل من بيعته ويعطيه فداء ابنه. فأبى الرجل اباء شديداً، وقال: "عند الله أحتسبه ونفسي" ثم قال للحسين: "هيهات أن أفارقك ثم أسأل الركبان عن خبرك. لا يكن والله هذا أبداً"..

❖❖❖

وقد تناهت هذه المناقب الى مداها الأعلى في نفس قائدهم الكريم.. يخيل الى الناظر في أعماله بكربلاء أن خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها أيها يظفر بفخار اليوم، فلا يدري أكان في شجاعته أشجع، أم في صبره أصبر، أم في كرمه أكرم، أم في ايمانه وأنفته وغيرته على الحق بالغاً من تلك المناقب أقصى مداه.. حرب النور والظلام وكانت فئة الحسين صغيرة قد رصدت لها هنالك تلك الفئة الكبيرة التي تناقضها أتم ما يكون التناقض بين طرفين، وتباعدها أبعد ما تكون المسافة بين قطبين، فكل ما فيها أرضي مظلم مسف بالغ في الاسفاف، وليس فيها من النفحة العلوية نصيب.. ولو كانوا يحاربون عقيدة بعقيدة، لما لصقت بهم وصمة النفاق ومسبة الأخلاق.. فعداوتهم ما علموا أنه الحق وشعروا أنه الواجب أقبح بهم من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله ومعرض عنه بشعوره، لأنهم يحاربون الحق وهم يعلمون.. ومن ثم كانوا في موقفهم ذاك ظلاماً مطبقاً. ليس فيه من شعور الواجب بصيص واحد من عالم النور والفداء.. فكانوا حقاً في يوم كربلاء قوة من عالم الظلام تكافح قوة من عالم النور. أقربهم الى العذر يومئذ من اعتذر بالفرق والرهبة لأنهم أكرهوه بالسيف على غير ما يريد.. فكان الجبن أشرف ما فيهم من خصال السوء.

❖❖❖

وينبغي أن نفهم ذلك على وجه واحد لا سبيل الى فهمه بغيره، وهو نكسة الشر في النفس البشرية، حين تلج بها مغالطة الشعور وحين تغالب عنانها حتى تعييها المغالبة فينطلق بها العنان. فالرجل الخبيث المغرق في الخيانة قد يتصرف في خلوته تصرف الأنذال ثم لا يبالي أن يعرف نذالته وهو بنجوة من أعين الرقباء. ولكن أربعة الآلاف لا يتصارحون بالنذالة بينهم ولا يقول بعضهم لبعض أنهم يعملون ما يستحقون به التحقير والمهانة ولا تقبل لهم فيه معذرة ولا علالة. وإنما شأنهم في هذه الحالة أن يصطنعوا الحماسة ويجاهدوا التردد ما استطاعوا ليظهروا في ثوب الغلاة المصدقين الذين لا يشكون لحظة في صدق ما يعملون، فيغمض الرجل منهم عينيه ويستتر بغشاء من النفاق حتى ليوشك أن يخدع نفسه عن طوية فؤاده.. وتلك لجاجة المغالطة في الشعور.. أما مجاذبة النفس عنانها وانطلاقها بعد هذه المجاذبة المخفقة، فالشواهد عليها كثيرة فيما نراه كل يوم.. يحاول الرجل أن يتجنب الخمر فلا يستطيع، فاذا هو قد خلع العذار وغرق فيها ليله ونهاره غير مبال بما يقال كأنما هو القائل: "دع عنك لومي فان اللوم اغراء".

وتحب المرأة ان تستحي وتتوارى من المسبة في هواها، ثم يغلبها هواها فاذا هي قد ألقت حياءها للريح، وصنعت ما تحجم عنه التي لم تنازع نفسها قط في هوى، ولم تشعر قط بوطأة الخجل والاستتار. واندفاع المتهجمين على الشر في حرب كربلاء بغير داع من الحفيظة ولا ضرورة ملزمة تقضي بها شريعة القتال، لهو الاندفاع الذي يسبر لنا عمق الشعور بالاثم في نفوس أصحاب يزيد. وقد رأينا من قبل عمق الشعور بالحق في أصحاب الحسين، وما بنا من حاجة الى البحث عن علة مثل هذه العلة لمن خلقوا مجرمين وخلقت معهم ضراوة الحق والايذاء لهذا الميدان وغير هذا الميدان، كشمر بن ذي الجوشن، ومن جرى مجراه.. فهؤلاء لا يصنعون غير صنيعهم الأثيم كلما وجدوا السبيل اليه.

من المحرر

في ذكرى ثورة الامام الشهيد

باسم عبد الحميد حمودي

يقف المرء إزاء حدث تاريخي وديني مهم هو تراجيدياً استشهاد الامام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام موقف المتأمل المحلل لمعنى استعادة هذه الذكرى الاليمة كل عام وتجسيد صورها البطولية شعبياً بالحديث والحوار واظهارها على الأرض مشخصة في مسارح شعبية عامة يقيمها المسلمون الذين يستذكرون لا التفاصيل الحزينة والبطولية مقابل المعنى الاخاذ من هذه الذكرى اذ هي ذكرى مواجهة الحق للباطل والثورة للانكفاء والدعوة للحرية مقابل الخضوع للحاكم.

ان الكثير من الصور والمعاني تتولد عند الحديث عن قضية استشهاد الإمام الحسين (ع) فها هو الفرند من آل البيت الاطهار يتحرك مع ركبه الصغير من الحجاز إلى الكوفة لتلبية دعوة ثوار العراق باعلان الثورة على الحكم الاموي.

ورغم نصائح من نصح الإمام أن أمراً يدبر بليل في دمشق الاموية (يومها) ضده وضد إرادة الحق، إلا ان الامام الحسين (ع) لم يهتم بهذه النصائح وسعى إلى الثورة على الحكم الذي انحرف عن جادة الاسلام إلى الملك العقور وإلى الظلم بدلاً من احقاق الحق.

ويسير الركب قاطعاً صحراء الجزيرة إلى منطقة كربلاء ليصطدم مراراً بجيش يزيد حديثاً مرة ومشاحنة مرة اخرى حتى وصل إلى منطقة ينبغي إلا يجتازها، فان وصل الكوفة انقلبت الظروف وتغيرت احوال الرعية بعد ان غيرها عبيد الله بن زياد بالمال والسلاح وفرق اصحاب مسلم بن عقيل (ع) واستطاع الوصول إليه وقتله وتبدأ حوارات الحسين (ع) مع قادة جيش يزيد ويعلمهم بما ينتظرهم في العالم الآخر من ذل إن وقفوا ضده وضد ثورته وضد الحق لكنهم لا يعبأون ومنهم من سيق إلى العمل السيئ طمعاً بمنصب وخوفاً من عقاب..

تبدأ حوارات الحسين (ع) مع قادة جيش يزيد ويعلمهم بما ينتظرهم في العالم الآخر من ذل إن وقفوا ضده وضد ثورته وضد الحق لكنهم لا يعبأون ومنهم من سيق إلى العمل السيّئ طمعاً بمنصب وخوفاً من عقاب..

ومن دون جدوى من حوار تبدأ الحرب بين القلة الشجاعة التي يقودها الامام الشهيد وبين الكثرة الضالة التي بهرتها الدنيا فيقاتل رجال الحسين ويستشهدون واحداً بعد آخر ويقتل الاطفال الرضع وهم بين ايدي ابن رسول الله أو أمهاتهم، وتكون الطف مجزرة لم يعرف التاريخ مثيلا لها فيما يكون صمود رجال الحسين وصحبه واهله صموداً اسطورياً ما زال التاريخ يذكره وما زال الفكر الشعبي يذكره ويمسرحه ويجسده حيث يتكرر تجسيد الصورة البطولية كل عام في العاشر من محرم الحرام.

ان صفحة (ثقافة شعبية) اذ تحتفي بالمناسبة وتستذكرها فقد وجدت ان تعيد تقديم جزء من كتاب عباس العقاد الشهير "ابو الشهداء" وان تقدم المسرحي مناضل داود وهو يتحدث عن مسرح التعزية في كتاب صدر عن دار (المدى) ود. سلوى الصمد وهي تستعرض شعائر كربلاء ومعانيها وبذلك تكون صورة كربلاء الحسين ويوم الطف متكاملة بوجه من الوجوه فكراً وتحليلاً.

مسرح التعزية في العراق

منـاضل داود

ولد المسرح العراقي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، على مجموعة من الرهبان المسيحيين في محافظة الموصل، فكانت البداية مسرحيات وعظية لها علاقة بالمسرحيات التي قدمتها الكنائس في العصور الوسطى، وذلك للعلاقة الوطيدة بين الكنائس في مدن الموصل وروما وباريس حيث كان الرهبان يرسلون للدراسة ثم يعودون إلى العراق للعمل والتدريس في المدارس المسيحية العراقية.

وحين أسست الدولة العراقية عام ١٩٢١ وجد الفنانون العراقيون على قلتهم إن الاستعمار البريطاني يطوق عنق الوطن،فكان المسرح العراقي وطنيا على يد مؤسسيه ورواده الاوائل، امثال خالص ملا حمادي وبطانته المسرحية الممثلة بالفرقة العربية للتمثيل وصولاً إلى فناننا الرائد حقي الشبلي، الذي استبدل اسم (المعهد الموسيقي) باسم (معهد الفنون الجميلة) بعد أن ادخل فيه قسم الفنون المسرحية ببغداد.

وهكذا ضاعت على المسرح العراقي فرصة ذهبية، وهي الانتباه للإرث المسرحي الغني المتمثل في الفرجة المسرحية في طقوس التعزية التي ظهرت في العراق خلال القرن الرابع الهجري وهي موضوع بحثنا اليوم.

يقول الباحث والمخرج العراقي محمد سيف في بحثه عن وطنية المسرح العراقي.. إن القدر العراقي قد خزن في أعماقه دراما لم تنجز، حتى أصبحت تراجيديا أسطورية قادرة على أن تنجز عملا مسرحيا بمعناه الحقيقي، إن التراجيديا الأسطورية من وجهة نظري هي مكان أو بالأحرى عرض للعقيدة التي تتأرجح بين الواقع والخيال، فالمواجهة اختلاف يأخذ جذره من طقوس عاشوراء.

التراجيديا وطقوس الدين

من هذا المنطلق، تكمن في تقديري أهمية طقوس التعزية في العراق كونها طقوساً دينية تراجيدية، يتم اللطم والنواح فيها على شخصية الحسين بن علي فحسب، بل أنها كانت تسهم في تطوير وبناء مسيرة المسرح العراقي لو أن الظروف الموضوعية لهذا الفن كانت تسير بشكل سوي، مثلما قدمت الطقوس اليونانية الأساس القويم لبناء المسرح الإغريقي ((إن الإيمان والزهد التام في تقديم طقوس البكاء، كان له الدور الحاسم في عملية سير وتكوين المسرح اليوناني.)) كما يؤكد الباحث المذكور وفي هذا فإننا نتحدث عن تراجيديا الحياة في الجسد، وهي ليست جسداً فردياً، وإنما الكل في حركة واحدة متوحدة متنوعة ومتناسقة، لا أحد يملك أن يجزم بأن هذه الطقوس تمارس لسبب ديني فقط، بل ستبكي الشيعة مادام الحسين . حسب اعتقادهم . سيكون شفيعهم يوم القيامة، وسيصرخون في وجه السياسي السلطوي الذي لم يقو على احتمالهم . وجدير ذكره ان هذه الطقوس منعت في منتصف السبعينيات من هذا القرن في العراق، هذا المسرح الطقسي الذي كان أرتو يبحث عنه وكروتوفسكي في مسرحه الفقير وأخيراً يسعى بيتر بروك إلى قرية إيرانية ليقول بعدها ((شاهدت في قرية إيرانية نائية شيئا من أقوى الأشياء التي شاهدتها في المسرح في أي وقت مضى: مجموعة من أربعمائة قروي يجلسون تحت شجرة ينتقلون من هدير الضحكات إلى النحيب العلني، برغم انهم يعرفون تماما نهاية القصة، فقد شاهدوا الحسين سابقا وهو يتعرض لخطر القتل، وكيف كان يناور أعداءه، واستشهاده بعدئذ، وعندما يموت الحسين يغدو شكل المسرح حقيقة.)) ولكن السؤال الأهم هنا: أين هي التعزية في المسرح العراقي؟ وهو وريث هذه التراجيديا التي تمت على أرضه.

لقد اعتمد المسرحيون على الدوام، على استلهام مادة نصوصهم من الملاحم والقصص الفولكلورية التي أنتجتها شعوبهم على مر العصور، فأسسوا بذلك مسرحهم، وتطور المسرح ليصبح مادة إنسانية فنية جدلية، حتى أصبحت تتسابق في فهمها واستقرائها وتدريسها دول كثيرة، وتكون لدينا منظرون لمدارس مختلفة، ومازال البحث مستمرا، فمنذ ستانسلافسكي وإلى اليوم تتنافس روسيا وأوربا وأمريكا في طرائق تربية الممثل كل واحدة بأسلوبها، وإذا مل الأوربيون من طريقة عملهم ذهبوا إلى الشرق لاكتشاف هذه الطقوس في بلاد الشمس.

إن ثلثي المجتمع العراقي يمارس هذه الطقوس بكل وجدانها أنتجت مسرحا لم نره وأعني لم نجر عليه بحثا ولو نستقرئه او نخوض تجربة واحدة فيه. وإذ نعتقد في هذا البحث، أن هذه الفرجة مسرحية تمتلك من عناصر الدراما والتراجيديا ما يجعلها تكون مادة فنية مهمة تغني المسرح العراقي بشكل خاص والمسرح العربي بشكل عام، لنا أن نعيد سؤلنا مرة أخرى: أين هي التعزية في المسرح العراقي؟ والجواب ليس خافيا على أحد، أولاً:فالسلطة الرسمية في العراق ومنذ أن تكونت الدولة، هي سلطة طائفية.

ثانياً: إن عمر المسرح العراقي قصير، ولما بدأ مخرجوه . أقول مخرجوه لأن المسرح لا يمكن أن يحيا متطورا من دون مخرج . الذين درسوا في روسيا وأوربا وأمريكا جاؤوا بتجارب جاهزة فكانت بتأثيرات المكان الذي درسوا فيه.

ثالثاً: إن اغلب المثقفين في العراق كانوا ومازالوا يتفادون الطقوس، والحال اننا وهي من وجهة نظرنا نظرة سطحية خالية من التأمل، لا نجيد اكتشاف ذاتنا ونلحق بالآخر الذي يتجاوزنا باكتشافه لنا، ابتداءً من المنجز الاقتصادي . لقد عثرت أوروبا على النفط في بلادنا لتبيعنا إياه . إلى المنجز الثقافي الذي ذكرناه سلفاً، فعلى سبيل المثال وحينما يتحدث مخرج مثل بيتر بروك عن مسرح التعزية، تتكشف لنا أهمية هذه الطقوس وتبدو عندئذ صالحة للبحث والاستقراء والتأمل.

الطقس وسطوته

إن طقساً استطاع أن يشغل مشاعر أمة كاملة عشرة أيام كل عام، بهذا الحضور والسطوة العالية منذ القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا عبر لغة تراجيدية بصرية ليستحق الدراسة منا بكل تأكيد.

إن أهمية بحث هذا الموضوع ودرجة حيويته في الزمن الراهن، تكمن في أنني ابحث عن المنجز الشخصي والهوية، فلا نستطيع أن نثبت جغرافيتنا من دون أن نمتلك تاريخنا، فالبحث في منجز التعزية هو البحث في منجز شعب، فعندما اقف على المسرح وأحرك يدي أو رأسي أو أطلق نفساً حاراً اشعر بانتمائي الحقيقي لهذا الفعل لأنه فعلي، وتلك إيماءاتي، بكل بساطة، أريد أن العب في بيتي الذي ترعرعت وحلمت وضحكت وبكيت فيه، فكم أليف هو شارع الطفولة الذي نلعب به كل يوم، ولكنه يصبح اكثر ألفة عندما تعلق الرايات والقناديل معلنة عن أيام عاشوراء.. وقس على ذلك فعالياتنا الشعائرية في أيام الاعياد وطقوس (زكريا) الشهيرة وشموع (خضر الياس) السنوية، وغيرها الكثير.

خلفية تاريخية

وعن أيام عاشوراء تحدث بعض الرحالة والسفراء الأوروبيين الذين عاشوا في إيران في القرن السابع عشر أمثال الألماني اولياريوس (١٦٧١) والفرنسي تافرنييه، وأن أول من شاهد عرضاً للتعازي وأطلق عليه اسم عرض مسرحي درامي هو الإنكليزي فرانكلين وذلك عام ١٧٨٨ ويقول السير لويس بيلي (١٨٧٩) وهو دبلوماسي بريطاني عاش في طهران ((إذا توجب قياس نجاح الدراما عن طريق التأثير الذي تحدثه في الذين ألفت من أجلهم، أو في المشاهدين الذين تمثل أمامهم، فلا توجد أبداً مسرحية فاقت التراجيديا المعروفة في العالم الإسلامي باسم الحسن والحسين)) ويرى محمد عزيزة في كتابه (الإسلام والمسرح) ظاهرة غياب المسرح في العالم الإسلامي: ((الاستثناء الوحيد لقاعدة الغياب المسرحي هذا: هو التعازي الشيعية التي أعطت الإسلام اعتباراً من القرن السابع الشكل الدرامي الوحيد الذي يعرفه.)) ويحدثنا جرجي زيدان(١٨٦١ ـ١٩١٤) عن وصف للتعزية شاهده جيمس موريه في مدينة اصفهان الإيرانية سنة ..، ١٨١١ وفي يوم عاشوراء بعث الشاه إلى السفير يدعوه لحضور الاحتفال (يوم القتل) فسرنا معه، أجلسونا في خيمة خاصة بنا بالقرب من خيمة الشاه بحيث نشرف على الساحة الكبيرة، فرأينا عند مدخلها جماعة وهم من عائلة الشاه وقوفاً حفاة، على شكل دائرة في وسطها رجل ينشد لهم وهم يوقعون أنغامه بالضرب على صدورهم، وفي بعض جوانب الساحة مكان مثلوا به كربلاء وبالقرب منه خيمتان تمثلان معسكر الحسين الذي كان يقيم فيه مع عائلته. وفي وسط الساحة مسرح من الخشب مغطى بالسجاد لتمثيل الرواية عليه. وثم يبدؤون بالاحتفال حتى جاء الشاه وجلس في خيمته فبدأوا بالتمثيل، فجاء رجل ضخم عاري الصدر يحمل قناة طولها (٣٠) قدماً مرتكزة في منطقة من جلد حول خصره، وفي أعلاه راية عريضة مكتوب عليها بعض الآيات القرآنية، ثم جاء رجل آخر في مثل ذلك تماماً وثم رجل اضخم منهما وأكثر عرياً يحمل قربة ماء رمزاً عما قاساه الحسين من العطش في ذلك اليوم.. ثم جاؤوا بتابوت عظيم يسمونه ((قبر الحسين)) يحمله ثمانية رجال على أكتافهم وعليه الأغطية الثمينة وفي صدره إكليل مكسو بالحجارة الكريمة وفوقه كوكب من الألماس يتلألأ كالشمس وفي جوانب التابوت كثير من الحلي والمجوهرات وعلى قمته عمامة ترمز إلى عمامة الحسين والى كل من جانبي التابوت رجلان يحملان علمين ينتهي العلم من أعلاه بشكل كف مفتوحة رمزاً عن الحسين (يخطئ الراوي هنا في تصوره، فالكف ترمز عادة إلى العباس أخ الحسين لأنه سقط في المعركة مقطوع اليدين أما الحسين فقد قطع رأسه) ثم جاءوا بأربعة أفراس مسرجة في اثمن مؤن وعلى جباهها صفائح من الذهب مرصعة بالألماس، وفوق السروج أدوات تدل على مقتل الحسين. فلما اجتمع هؤلاء في الساحة وقفوا صفاً واحداً على حدة ثم جاؤوا جماعة عراة لولا شملات صغيرة تغطي بعض أجسامهم وعليهم ملامح البداوة والقسوة والخشونة وقد تلطخت أجسامهم بالدماء وهم ينشدون أنشودة بدوية يراد بها أصحاب الحسين وأهله الذين قتلوا معه، ثم جاؤوا بجواد أبيض عليه جروح عديدة يمثل الجواد الذي قتل الحسين فوقه. ثم جاء خمسين رجلاً في يد كل منهم قطعتان من الخشب يضرب أحداهما بالأخرى، فاصطفوا صفاً واحداً أمام الملك ثم مشوا مشية منتظمة على توقيع رجل منهم وهم يصفقون. ثم بدؤوا بتمثيل المعركة وكيفية قتل الحسين ورفاقه، فسمعنا أصوات الندب والنواح من سائر أنحاء الساحة وشاهدنا الدموع تتساقط من أعين الناس، حتى لم يبق أحد لم يبك وانتهى هذا الفصل بإحراق كربلاء، وهي أعشاش أقاموها في بعض جوانب الساحة، ثم ظهر قبر الحسين مغشى بالألوان السود وفوقها جلد نمر يريدون به أسدا يقولون انه حرس جثة الحسين بعد موته.))

إن إعادة تمثيل واقعة استشهاد الحسين بن علي كل عام في العراق، هو تعبير الناس عن الرغبة في محاكاة الواقعة التي تحاول الانسلاخ عن الدين في أحيان كثيرة، وذلك لمحاكاة الظروف المستجدة على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية على الوجه الأخص، ففي دراسة له بعنوان: التعازي طقس درامي شعبي: يقول الدكتور فاضل سوداني. ((من المعروف أن التعازي في بداية نشوئها كانت تقليداً حياً لمأساة (الإمام الحسين) بكل تفاصيلها الواقعية، ولكن بمرور الزمن لم تعد طقساً دينياً فحسب إنما امتزجت بالحياة السياسية والاجتماعية، حيث أن بطلها (الحسين) لم يعد رمزاً دينياً فقط بل رمزاً لبطل قومي، ثوري يستلهم الشعب ثوريته وتضحيته من خلال إعادة ذكراه ويتكشف لنا من خلال التأريخ، إن الطابع السياسي المعارض لسلطة الحاكم في طقوس التعزية ليس بجديد ولم يبدأ في القرن العشرين بل كانت بدايته منذ أن تكونت فكرة التشيع كما نعتقد نحن وفي هذا السياق يقول الدكتور علي الزبيدي ((إن معز الدولة البويهي قد أمر الناس بأن يغلقوا دكاكينهم في العاشر من محرم . وهذا تقليد جرت عليه العادة حتى يومنا هذا . ويضيف الزبيدي، والظاهر أن تقديم طقوس التعزية قد حدث فيها تطور في القرن التاسع عشر، فقد انتظمت بشكل فني رائع بحيث أمست مسرحيات حية تدور فيها حوادث استشهاد الإمام الحسين لمدة عشرة أيام متتالية، وحاول الولاة منعها بمن فيهم مدحت باشا فلم يفلحوا، وهذا المنع جاء في بيان رسمي نشرته جريدة الزوراء في ٤ محرم ١٢٨٦ هجرية.))